المادة: المدارس اللسانية **الأستاذ: فريد زغلامي**

المستوى: السنة الثانية دراسات أدبية

المحاضرة الثالثة: حلقة موسكو اللغوية

تُشكِّل حلقة موسكو اللغوية في بدايات القرن العشرين كواحدة من أكثر الجمعيات البحثية تأثيرًا في تاريخ النقد الأدبي واللسانيات. لعبت هذه الحلقة دورًا محوريًا في إعادة تعريف الأدب واللغة عمومًا ضمن سياق علمي لساني جديد قطع مع المناهج السياقية التقليدية، وهي حلقة مهمة ضمن الشكلانية الروسية.

أولا: نشأة وتأسيس حلقة موسكو اللغوية

تأسست هذه الحلقة سنة 1915م بجامعة موسكو على يد مجموعة من الطلاب والباحثين المرتطبين بجامعة موسكو وعلى رأسهم **رومان جاكبسون** (1896 – 1982). جاء التأسيس كرد فعل على المناهج النقدية واللسانية السائدة آنذاك التي كانت تُؤول النصوص ضمن إطار اجتماعي أو نفسي أو سياسي محدد، منطلقة من أن الأدب انعكاس لفكر الكاتب أو للظروف التاريخية.

وقد تشكلت هذه الحلقة مع جمعية دراسة اللغة الشعرية (أوبوياز) "1916" في بطرسبورغ قُطْبا الشكلانية الروسية.

وتمّ حلُّ هذين الجمعيتين سنة 1930م، فسوء التفاهم بين الثورة البلشفية الإيديولوجية والثورة الشكلية أدى في النهاية إلى غلبة الدولة على العلم، فقد أخذت الشكلية على عاتقها مهمة علمنة الدراسة الأدبية، وهذا ما كان يتَعارَض مع الشيوعية؛ لذا سارع "ستالين" إلى إخماد أصواتهم، وتدجين بعضهم، وإلزام الكثير منهم الفرار خارج روسيا.

وقد وضعت أسس حلقة موسكو وتوجهاتها تحت تأثير اللسانيات الحديثة، ولا سيما أفكار فرديناند دي سوسير، وأرست مفاهيم مثل النظام المغلق في اللغة والأدب، وانفصال النص عن العوامل الخارجية المسيطرة؛ لذا فقد اهتمت هذه الحلقة بالشعرية واللسانيات، والبحث في شؤون الأدبية وماهية الشكل.

ثانيا: أعضاء حلقة موسكو اللغوية وأدوارهم الفكرية:

1. **رومان جاكبسون:** أرسى الوظيفة الشعرية، ربط الأدب باللسانيات، طور مفهوم القيمة المهيمنة، وضع نظرية وظائف اللغة، نقل الأفكار اللسانية والنقدية إلى براغ والغرب.
2. **بتر بوجاتريف:** أشاع الفكر البنيوي في الاتحاد السوفياتي، نقل أفكار حلقة موسكو إلى براغ.
3. **فيليب فورتوناتوف:** أستاذ اللغويات المقارنة بجامعة موسكو، يعتبره البعض الأب الروحي لحلقة موسكو.
4. **أوسيب بريك:** دعم تطبيق المنهج الشكلاني على الأدب.
5. **بوريس توماتشفسكي:** وضع منهجية شكلية لتحليل البنية السردية والتقاليد الشعرية.
6. **سيرجي كارتسفسكي:** التحق بالحلقة سنة 1917 بعد أن تتلمذ في جنيف على يد سوسير، ونقل أفكار سوسير وبثها في المدرسة الوليدة.
7. **جريجوري فينوكور:** طور الدراسات اللغوية ونشر الفكر الشكلاني.

ثالثا: المبادئ اللسانية والأدبية لحلقة موسكو اللغوية

- التفرقة بين اللغة الشعرية ولغة الحياة اليومية العملية/ الإخبارية، فهذه الأخيرة عابرة وعديمة الشكل، في حين أن الشعر خطاب منظم يهدف إلى تحقيق أثر فني.
- إن الأدب استخدام خاص للغة يتحقق تميّزه بالانحراف عن اللغة العملية وتشويشها، فاللغة العملية تُستخدم استخداما برغماتيا يرتبط بأفعال التوصيل، أما اللغة الأدبية فليست لها أية وظيفة عملية، وإنما تجعلنا نرى بطريقة مختلفة فحسب.

- نظرت هذه الحلقة إلى العمل الأدبي على أنه بنية مغلقة ومستقلة عن الظروف الخارجية؛ لذا ركّزت على تحليل الشكل ووظائفه، لا المضمون أو الدلالة التاريخية أو النفسية أو الاجتماعية؛ أي دراسة الأدب من خلال قوانينه الداخلية: الإيقاع، البناء التركيبي... وكل العناصر التي تُوَلِّد الأثر الجمالي كخطاب مستبعدين المرجعية النفسية، الاجتماعية، الإيديولوجية... .
- لم يعد الخطاب الشعري وسيطا لنقل الأفكار والانفعالات، بل تحول إلى غاية في ذاته.
- فصلوا الشكل عن المضمون، ورأوا أن الشكل هو الذي يحدد المحتوى؛ لذا اهتموا بتحديد الأشكال لا المحتويات.
- التشديد على الأثر الأدبي وأجزائه المكونة له.
- الإلحاح على استقلال علم الأدب.
- التأكيد على مبدأ الوحدة العضوية المكونة للمتن الشعري، والعنصر المهيمن، ويُراد به العنصر الذي يحتل البؤرة في العمل الفني، فهو الذي يحكم غيره من العناصر أو المكونات ويحددها ويحوّرها.
- يرى جاكبسون أن اللغة وسيلة للتواصل الإنساني، ويتحقق هذا التواصل بتوفر العناصر التالية: المرسل، المرسل إليه، قناة الاتصال، السَّنَن/ اللغة المشتركة، الرسالة، السياق. ولكل عنصر من هذه العناصر يضطلع بظيفة، وهي ما يُسمى بوظائف اللغة: الوظيفة التعبيرية/ الانفعالية، الوظيفة الإفهامياتية، الوظيفة الانتباهية، الوظيفة الميتالسانية، الوظيفة الشعرية، الوظيفة المرجعية.
- دعت إلى البحث عن أدبية الأدب؛ أي ما يجعل من الأدب أدبًا؛ أي تلك الخصائص والسمات النوعية التي تُمَيِّز الأدب عن غيره من الخطابات.
- سعوا إلى جعل دراسة الأدب واللغة علمًا دقيقًا، مثل العلوم الطبيعية، من خلال الوصف والتحليل البنيوي.

- حاولوا وصل اللسانيات بالفلسفة والأنثروبولوجيا والفن التشكيلي والموسيقى، من هنا ظهرت فكرة أن كل أشكال الثقافة يمكن دراستها كأنظمة علاماتية، وهي الفكرة التي ستزدهر لاحقًا مع السيمائيات.
- اعتبر جاكبسون أن الشعر يتجاوز الصياغة المباشرة للمعنى، فهو يحقق وظيفة جمالية عبر الإيقاع، التكرار، الاستعارة، المفارقة الصوتية والبنائية، فيدرك المتلقي الكلمة كلمة، لا كمجرد وسيلة تحيل إلى شيء آخر.
- رأوا أن التغريب هو الأداة التي يرتكز عليها الفن في أدائه لوظيفته؛ فإن الفن وظيفته تتمثل في تجديد إدراكنا للعالم الواقعي المحيط بنا، فهو ليس إلا خروجا على ما هو مألوف في الاستعمال اللغوي اليومي، فوظيفة الفن تتجسد في إسقاط الألفة عنالأشياء وتغريبها.

الانتقادات التي وُجِّهت إلى حلقة موسكو اللغوية:

- **إقصاء السياق التاريخي والاجتماعي:** انتقد اللسانيون والنقاد الماركسيون تركيز الحلقة الشديد على الشكل والبنية، وإهمالها التام للشروط التاريخية والبيئة الاجتماعية، والواقع السياسي الذي نشأ فيه النص الأدبي، واعتبر الخصوم أن هذا الفصل يجعل النص كائنا معزولا ومقطوعا عن جذوره.
- **تهميش دور المؤلف:** رأى النقاد أن اختزال النقد في تحليل آليات النص اللغوية والصوتية والدلالية، واستبعاد سيرة المؤلف ونفسيته، ودوافعه الواعية واللاواعية يُلغي الجانب الإنساني والشخصي للعمل الإبداعي.
- **الجفاف الآلي والميكانيكي للتحليل:** اتُهمت الحلقة في مرحلتها الأولى بمعاملة النص وكأنه آلة مركبة من قطع غيار يمكن تفكيكها وتركيبها، وهو ما جعل البعض يرى أن هذا الاتجاه يقتل روح الجمال الفني ويحوّله إلى معادلات رياضية.

- **إغفال دور القارئ:** ركزت حلقة موسكو على "ما يجعل النص أدبيا" في ذاته (الأدبية) وعلى الخصائص الجمالية الداخلية؛ مما أدى بطبيعة الحال إلى تهميش دور القارئ وتجربته الشعورية والتأويلية.

وضعت حلقة موسكو الأساس لما سيصبح لاحقًا الشكلانية الروسية، ثم انتقلت أفكارها عبر جاكبسون إلى حلقة براغ لتؤثر في البنيوية الأوروبية. جوهرها النظر إلى اللغة والأدب كبنية مستقلة، والبحث عن القوانين الداخلية التي تحكمها، مع إبراز الوظيفة الشعرية والجمالية للغة.

مراجع المحاضرة:

- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي.
- رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور.
- فيكتور إيرليخ، الشكلانية الروسية، تر: محمد الولي.
- بوريس إيخنباوم وآخرون، نظرية المنهج الشكلاني، نصوص الشكلانيين الروس، تر: (إبراهيم الخطيب).
- حسين حليمي، الشكلانية الروسية الامتداد والتطور.